فوائد التّكرار القرآني

إعداد

د/ محمد أمين مصطفى يوسف البكري

أستاذ مشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة العالمية

بيروت – لبنان - قسم الدراسات الإسلامية

فوائد التكرار القرآني

محمد أمين مصطفى يوسف البكري.
قسم: الدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة العالمية – بيروت .
البريد الالكتروني: bakrimohamad@gmail.com

ملخص البحث

التكرار ظاهرة لغوية عرفتها العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا كما في الشعر الجاهلي، وخطب ذلك العهد وأسجاعه، ولقد وردت في القرآن وخصوصًا في قصصه، وكذلك في الحديث النبوي، وكلام العرب شعره ونثره من بعد؛ وهي، من ثمَّ، ظاهرة تستحق الدراسة لتبين معالمها، والتعرف إلى حقيقتها، ومواضع استعمالها. ولا يكون التكرار مذمومًا إلا إن كان مما يمكن الاستغناء عنه، وكان الذي يُكرَّر خاليًا من أي معنى جديد يضاف إلى الأول، فهو حينئذ يكون لغوًا لا فائدة منه، وهذا ليس منه في القرآن شيء. أما ما عدا ذلك فهو على العكس، إنه أمر مطلوب مرغوب، وإن فُقِد في الكلام كان ذمًّا أحيانًا، والتكرار من الأساليب المعروفة عند العرب، ويكثر وروده في كلامهم وفي أشعارهم خاصة. والقصة المتكررة في القرآن الكريم ترد في كل موضع بأسلوب يتميَّز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى، فالقصة تعرض ملخصة حينًا، ثم تفصل من البداية، وحينًا تبيّن العاقبة والمغزى من مضمونها، ثم يبدأ التفصيل، وحينًا يُبدأ بها مباشرة بلا مقدمات، وحينًا تُقدم كأنها مشاهد حية

نابضة تحدث أمام القارئ والسامع، مع جمال براعة الانتقال من موقف إلى آخر، وتجاوز ما لا حاجة إليه، وترك الذهن يستلهم منها الأحداث التي جرت، بينما يُتابع مع الآيات الأحداثُ المهمة وتفصيلاتها. فما هي فوائد التكرار في القرآن الكريم (القصص خصوصًا) واللغة العربية؟

الكلمات المفتاحية: (التكرار – القرآن – فوائد – القصص).

Benefits of Quranic repetition

Mohamed Amin Mostafa Youssef Al -Bakry.
Department : Islamic Studies**.** Faculty of Arts and Humaniti at the International University- Beirut-
E-mail : bakrimohamad@gmail.com.

Abstract

Repetition is a linguistic phenomenon known in Arabic in its earliest texts, which reached us as in the Jahili poetry, and the speeches of that covenant and their rhyming, and it is mentioned in the Qur'an, especially in its stories, as well as in the Prophetic Hadith, and afterwards in the words of the Arabs their poetry and prose, It is therefore a phenomenon that deserves to be studied to identify its features, to know its truth, and where it is used .Repetition is only reprehensible if it is dispensable, and the one who is repeated is devoid of any new meaning added to the first, then it is useless language, and this is nothing in the Qur'an, Otherwise, on the contrary, it is desirable, although the lack of words is sometimes a repulsive one of the methods known to Arabs, and is frequently mentioned in their words and in their poems in particular. The recurring story in the Qur'an is contained in each place in a way that distinguishes it from the other, and is formulated in a template other than the template, and one does not tire of repeating it, but renews meanings in his self that he does not find by reading in other places. The story is presented as a summary at a time, then detailed from the beginning. Another time the consequence and the significance of its content are revealed, and then the detail begins, and some time it begins directly

without introductions, and another time it is presented as a pulsating live scene that occurs in front of the reader and the listener, with the beauty of the versatility of moving from one position to another, going beyond what is not needed, letting the mind be inspired by the events that have taken place, while following with the verses important events and their details. What are the benefits of repetition in the Qur'an (stories in particular) and Arabic?

key words: Repetition - the Qur’an - benefits - stories

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا ببعثة سيدنا محمد خير الأنام، وأرسل الرسل والأنبياء هداة مهديين، يدعون إلى عبادته سبحانه ويحذّرون من معصيته.

والصلاة والسلام على من صلى بالأنبياء إمامًا، وكان لهم ختامًا، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **وبعد**

فإن التَّكرار الكلامي أمْرٌ عرفته أدبيَّات الشعوب، وليس خاصًّا بالعربية[1]، فها هو الصغير والعامي والمثقّف كما الرّاشد وغيرهم من أصناف الناس، يستخدمون التكرار في حياتهم بصفة يومية، وها هو الصوت له صدى التكرار، وكذلك في الأناشيد والأهازيج الشعرية والزجل والأغاني الشعبية، وما يزال أسلوب التكرار ينقله اللاحق عن السابق إلى يومنا هذا.

فالتكرار من محاسن الفصاحة لا سيما إذا تعلق بعضه ببعضه الآخر، فمن عادة العرب في خطاباتها أن تلجأ إلى التكرار إذا أبهمت بشيء، إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدّعاء عليه[2].

إن النص القرآني هو المثال العالي للبلاغة والفصاحة عند العرب، بعد

---

(١) عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٩٠ وما بعدها.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م، ج٣، ص٩.

أن عجز عرب أهل الجاهلية على ما هم عليه من السلاقة والمعرفة بوجوه الفصاحة، ولم يعيبوا عليه فيه شيئًا من التكرار أو نحوه(١). فقد تأملوا في النص القرآني، ونظروا في بلاغته وفصاحته ونظمه، من حسن التضمين والكناية والتشبيه والمساواة والإرداف والتوشيح وحسن البيان والمجاز والإيجاز وغيرها، كالتكرار في الكلام الفصيح الذي جاء على أنواع، منها للمدح، ومنها للوعيد والتهديد، ومنها ما جاء للاستبعاد(٢)، فعرفوا – رغم شدّة حرصهم على تكذيب الرسول – ﷺ –، وإضعاف أمره، وإبطال دعوته – أنه كلام معجز لهم من أن يقابلوه بكلام من تأليفهم.

إذًا، بناء النص القرآني هو أحد الوجوه الجمالية فيه؛ في ألفاظه وأسلوبه، في بيانه ونظمه، فيجد القارئ فيه صورةً حَيَّةً للكون والحياة والإنسان، وحيثما قَلَّب الإنسان نظَرَه في النص القرآني وجد أسرارًا من هذا البناء، ومنها:

- في نظامه الصوتي البَدِيع بجرْس حروفه حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومدها وغننها، وفواصلها ومقاطعها. والروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقر والجاحد.
- وحسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١٦.

(٢) ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت، ص١٥١.

- في ألفاظه التي تَفِي بحقِّ كلِّ معنًى في موضعه، لا ينبو فيه لفظ فيُقال: إنه زائد، ولا موضع يُقال: إنه يحتاج إلى لفظ ناقص. -في ضروب الخِطاب التي يَتقارَب فيها أصناف الناس في الفهْم بما تُطِيقه عقولهم، فيراها كلُّ واحدٍ مقدرة على قدر عقله ووفق حاجته.
- في صورة نظمه العجيب والأسلوب الجميل المخالف لأساليب كلام العرب، ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.
- في إقناع العقل وإقناع العاطفة بما يَفِي بحاجات النفس البشرية؛ تفكيرًا ووُجدانًا، في تكافُؤٍ واتِّزان، فلا تطغى قوَّة التفكير على قوَّة الوجدان، ولا قوَّة الوجدان على قوَّة التفكير [1].

ولعلَّ التكرار في النص القرآني من أبرز الظواهر البلاغية التي شغلت حيزًا من تفكير الباحثين قديمًا وحديثًا[2]، الأمر الذي قد يدل على الأهمية التي للتكرار، فهو من فنون القول عندهم، فالقرآن الكريم يكرّر المعنى ليظهر في أثواب متعددة وألوان شتى، فكلما ظهر في لون ازداد قرارًا في النفس والفكر، فإذا به قد وصل إلى القلب والعقل، في غير إكراه ولا إلزام.

لذلك فإنَّ التكرار بوصفه أداة بلاغية، ووسيلة تربوية؛ ورد في النص القرآني كثيرًا، فتعرَّض له المفسرون والبلاغيون[3]، وبيّنوا جزءًا من أبعاده

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧، ج٢، ص١٠١٤، ١٠١٥.

(٢) عبد العال سالم مكرم، الترادف في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٠٥ - ٢٣٦.

(٣) كالباقلاني في: "إعجاز القرآن"، والكرماني في: "أسرار التكرار في القرآن".

ودلالاته على اختلاف مواقعه، كما حاولوا التعرف إلى محاوره وأنماطه التي تمثلت في كونه تكرارًا لفظيًّا ومعنويًّا: تكرار حروف، وكلمات، وبدايات، وفواصل، وجمل، وآيات، وقصص، وأنباء.

وأوضح مثال على التكرار في النص القرآني ما ورد في سورة الرحمن، حيث تكررت آية: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرة، لأن الله في كل مرة يَذْكُرُ نعمةً من النِّعَم، ويريد لفت النظر إلى أهمية كل واحدة على حدة.

وكما أن النص القرآني فيه تكرار على عادة العرب، كذلك فيه تلميح بليغ ولطيف؛ ومن باب أن الشيء بالشيء يُذكر، كان من المهم الإشارة إلى أن النص القرآني حوى التكرار والتلميح.

وفوائد التكرار كثيرة، والحاجة له ملحة، في الفصيحة وفي العامية المحكية، وفي التعليم، وفي الأدب .. والنص القرآني هو الغاية في هذا الفن.

- **مسوّغات اختيار البحث**:

إن السبب الداعي لهذا البحث، اندفاع شخصي مني لدراسة ظاهرة التكرار في النصوص العربية خصوصًا، القديمة منها والجديدة، فقد لا تخلو قصيدة عربية – قديمًا وحديثًا – من التكرار وأنواعه وألوانه وتجلياته وأقرانه وأشباهه وأضداده[1]... يُضاف إلى ذلك أنني عثرت على موضوع قديم حديث، هو نظرة بعض الناس – لا سيما في العصر الحاليّ – إلى النص القرآني على أنه من تأليف بشر، على اعتبار وجود تكرار كبير في

(١) في إطار المقابلة الجمالية كتب حسين جمعة كتاب: "التقابل الجمالي في النص القرآني"، دار النمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

ألفاظه ومعانيه وقصصه، فأراني اندفعت للرد على هذه الشبهات بدراسة أكاديمية، تكمل ما بدأه الآخرون متفرقًا، في إطار واحد متداخل.

- **منهج البحث**:

المنهج (الوصفي) البرهاني: مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع، اعتمادًا على جمع الحقائق والبيانات، وتصنيفها، ومعالجتها، وتحليلها، تحليلًا كافيًا ودقيقًا؛ لاستخلاص دلالتها، والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث.

أو بعبارة أخرى: الحصول على معلومات تتعلق بالحالة الراهنة للظاهرة، موضوع الدراسة، لتحديد طبيعة تلك الظاهرة، والتعرف إلى العلاقات المتداخلة في حدوث تلك الظاهرة، ووصفها، وتصويرها، وتحليل المتغيرات المؤثرة في نشوئها ونموها؛ فهو إجراء في اتجاه العثور على الحقائق والبيانات في إطار تفسيري لكيفية ارتباط هذه الحقائق والبيانات بمشكلة الدراسة [1].

وانتقائي لهذا المنهج لِما يوفره من تيسير لعرض المادة الأساسية للبحث المتمثلة في النصوص.

(١) راجع: مروان إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، عمَّان، ط١، ٢٠٠٠، ص١٢٦. عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليأزوري، عمَّان، ط١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٩م، ص١٠٥.

- **نقد أهم مصادر البحث ومراجعه**:

اعتمدت في البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، تُعد ذخرًا مهمًّا، ومنبعًا دفَّاقًا، لمثل هذه الموضوعات، منها القديم الذي يلبس لباس المرجعية التاريخية، ومنها الجديد الذي يسلك مسلك الجمع والاختصار والتحليل والابتكار، أو الحداثة العلمية. وهذه طائفة منها:

- **الباقلاني، محمد بن الطيب -٤٠٣هـ، إعجاز القرآن، تحقيق: محمد شريف سكر، بيروت، دار إحياء العلوم، ط٢، ١٩٩٠.**

يُعد هذا الكتاب من أشهر كتب الإعجاز القديمة، فقد اهتم بقضايا الإعجاز في النص القرآني، وهو من أنضج الكتب التي ألّفت حول الإعجاز، إلا أنه في الوقت نفسه من المصادر البلاغية الأساسية، التي أسهمت في تحديد مسار البلاغة. إنه كتاب يربط بشكل عام النص القرآني بالوجوه البيانية، معرّجًا على أمثال مضيئة من الإعجاز في النص القرآني. استفدت منه تفنيده لكثير من مواضع الإعجاز في النظم.

- **الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن -٤٧١هـ، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد خفاجي وعبد العزيز شرف، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩١.**

يُعد هذا الكتاب أوّل محاولة جادة ترمي للتمييز بين أقسام البلاغة وفروعها، حيث تفنّن مؤلفه في دراسة ضروب الخطاب وموضوعاته دراسة وافية متأنية، مكّنته من اقتناص هذا الجنس من العلم، حيث جمع ما شتّ من بعيدها، ووضع الأصول والقوانين، وبيان الأقسام، وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية. كتاب نقدي، فيه عرض لمجموعة من الشواهد التي تشكّل نماذج قوية في بناء الصرح الفكري للبلاغة العربية، استفدت منه النظرة التجديدية لمعاني البلاغة وكيفية استخراجها.

- **الكرماني، محمود بن حمزة -٥٠٥هـ، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الفضيلة، د.ط، ١٩٩٧.**

هو كتاب أفرده مؤلفه ليكون اسمًا على مسمّى "أسرار التكرار في القرآن"، حيث إنه تتبَّع كل المواضع المكررة في النص القرآني، وأقام لها تسويغًا لائقًا، وشرحًا ضافيًا. وقد أخذت منه نماذج النصوص المنتقاة عن التكرار في النص القرآني.

- **ابن الأثير الجزري، نصر الله بن محمد -٦٠٦هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: سمر روحي الفيصل، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، ج١، د.ط، ١٩٩٦.**

كتاب يُعنى بعلوم البلاغة العربية، ويعتمد على النص القرآني شاهدًا في كثير من الأحيان، أتى فيه مؤلفه ابن الأثير بالجديد الذي لم يُسبق إليه، كما قدَّم حول التكرار بحثًا مهمًّا جدًّا، ومتقدّمًا ومميَّزًا، أتى فيه بفرائد وخرائد، لم يسبقه إليها أحد، ناقدًا كلَّ ما كُتب عن التكرار، وما أهمل في آن معًا. وهذا البحث عمدة في معرفة آفاق التكرار في النص القرآني، والحديث النبوي، والشعر العربي.

- **السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال -٩١١هـ، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧.**

كتاب يعتبر مصدرًا من مصادر علوم القرآن، على أنواعها، عرَّجت عليه عند إيرادي لعلوم النص القرآني التي ينبني عليها شرح مفهوم التكرار.

- **السيد، عز الدين علي (م)، التكرير بين المثير والتأثير، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٦.**

عرض فيه كاتبه لتاريخ التكرار عند العرب، وأفاض في شرح الوظيفة التكرارية للحرف والكلمة والكلام، والأغراض الجزئية والعامة للتكرار، ودلالات التكرار، مع عرض كل فنون البديع التي حوت تكرارًا حكميًّا، بالإضافة إلى البديع في الفكر الشعر المعاصرين. وهو يعالج ناحية مهمة جدًّا في التكرار، ألا وهي الجرس الصوتي.

- **مكرم، عبد العال سالم (م)، الترادف في الحقل القرآني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.**

كتاب خصَّصه مؤلِّفه للحديث التفصيلي، في موضوع شديد الصلة بالدراسة التي أنا بصددها، فالترادف غرَض من أغراض التكرار، وهو واضح جلي في النص القرآني، إذ يعرض المؤلف تفصيليًّا لكل ما قيل حول فكرة الترادف في النص القرآني، مع شواهد ونماذج.

- **الجديد في البحث**:

حشد أغلب (أكاد أقول كل) فوائد التكرار في القرآن الكريم (ضمنًا القصص القرآني) في بحث صغير واحد، مع التقسيم والتفريع والشرح باقتضاب هادف.

- **خطة البحث** :

يشتمل هذا البحث على ما يلي:

- **المقدمة:** وتتضمن أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهجيته.
- **المبحث الأول: التكرار ووظائفه.**

المطلب الأول: ماهية التكرار.

المطلب الثاني: شكوك منكري القرآن حول التكرار.

المطلب الثالث: وظائف التكرار وصوره في القرآن.

- **المبحث الثاني: علم المتشابه ونماذج منه.**

المطلب الأول: علم المتشابه.

المطلب الثاني: نماذج مشروحة من المتشابه:

- **المبحث الثالث: التكرار في القصص القرآني.**

المطلب الأول: التكرار حالة متجذرة عند العرب.

المطلب الثاني: تكرار قصص القرآن وحكمته.

المطلب الثالث: أثر قصص القرآن في التربية والتهذيب.

- **ثم الخاتمة وثَبْت المصادر والمراجع.**

المبحث الأول

التكرار ووظائفه

المطلب الأول

ماهية التكرار

التكرير (أو التكرار) – الذي هو دلالة اللفظ على المعنى مردّدًا – ظاهرة لغوية عرفتها العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا كما في الشعر الجاهلي، وخطب ذلك العهد وأسجاعه، ولقد وردت في القرآن وخصوصًا في قصصه، وكذلك في الحديث النبوي، وكلام العرب شعره ونثره من بعد؛ وهي، من ثمَّ ظاهرة تستحق الدراسة لتبين معالمها، والتعرف إلى حقيقتها، ومواضع استعمالها. وفي العربية إجمالًا تكرار للحروف والأسماء والأفعال والجمل الاسمية والفعلية، وكذلك ألوان تكرارية إيقاعية، يُقصد بها لإحداث نوع من الموسيقى اللفظية المؤثرة. تناثرت أقوالٌ عن ظاهرة التكرار وإشاراتٌ إليها في كتب القدماء والمحدثين، ونالت درسًا لا بأس به.

ولا يكون التكرار مذمومًا إلا إن كان مما يمكن الاستغناء عنه، وكان الذي يُكرَّر خاليًا من أي معنى جديد يضاف إلى الأول، فهو حينئذ يكون لغوًا لا فائدة منه، وهذا ليس منه في القرآن شيء. أما ما عدا ذلك فهو على العكس، إنه أمر مطلوب مرغوب، وإن فُقِد في الكلام كان ذمًّا أحيانًا، والتكرار من الأساليب المعروفة عند العرب، ويكثر وروده في كلامهم وفي أشعارهم خاصة، وهذه دواوين الشعراء العرب القدماء والمعاصرين مصداق ذلك.

والقصة المتكررة في القرآن الكريم ترد في كل موضع بأسلوب يتميَّز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى، فالقصة تعرض ملخصة حينًا، ثم تفصل من البداية، وحينًا تبيّن العاقبة والمغزى من مضمونها، ثم يبدأ التفصيل، وحينًا يُبدأ بها مباشرة بلا مقدمات، وحينًا تُقدم كأنها مشاهد حية نابضة تحدث أمام القارئ والسامع، مع جمال براعة الانتقال من موقف إلى آخر، وتجاوز ما لا حاجة إليه، وترك الذهن يستلهم منها الأحداث التي جرت، بينما يُتابع مع الآيات الأحداثُ المهمة وتفصيلاتها.

المطلب الثاني

شكوك منكري القرآن حول التكرار:

يستنكر بعض المشككين[1] (بسبب عدم معرفتهم باللغة العربية وأسرار البيان) التكرار في القرآن الكريم؛ كما في سورة الرحمن، وسورة التكاثر، وكذلك قصص الأنبياء في كثير من السور، مثل: قصة آدم، وقصة موسى،

(١) مواقع الشبكة الدولية للمعلومات مليئة بمثل هؤلاء المشككين والمتهمين للقرآن الكريم بأنه من عند غير الله، وهم أصحاب مواقع إلكترونية، أو معلّقون على موضوعات معيَّنة؛ أناس يتخفّون بأسماء وهمية تارة، وحقيقية تارة أخرى، يغلب عليهم الإلحاد، أو معارضة دين الإسلام بالمطلق، من غير علم بالعربية، ولا بالتراث، ولا بالقرآن الكريم. مثال على مواقع التشكيك:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=563633&r=0
facebook: les Apostats Libres المرتد الحر

وقصة عيسى – عليهم السلام – ويزعم هؤلاء أنه لو شُطب التكرار في القرآن، فلن يتبقى منه الكثير، وأن ثروته المعجمية ضئيلة؛ مما أدى إلى ضعف بناء الجملة، واللجوء إلى الحشو، ومزج الخيال بالواقع، خاصة في قصة موسى – عليه السلام –.

والجواب على ذلك أن القرآن هو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول، وفي كل فصلٍ منها فروعٌ ترجع إلى أصول، وقد تحدَّى محمدٌ – ﷺ – رسول الله النبي العربي الأمي العربَ بإعجازه، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، ونقل جميع المسلمين هذا التحدي إلى جميع الأمم فظهر عجزها أيضًا، وقد نقل بعض أهل التصانيف عن بعض الموصوفين بالبلاغة في القول أنهم تصدروا لمعارضة القرآن في بلاغته ومحاكاته في الفصاحة من دون هدايته، ولكنهم على ضعف رواية الناقلين عنهم لم يأتوا بشيء تقرّ به أعين الملاحدة والزنادقة فيحفظوه عنهم ويحتجوا به لإلحادهم وزندقتهم(١).

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٦، ج١، ص١٧٢-١٧٤. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٠٢٠.

المطلب الثالث

وظائف التكرار وصوره في القرآن

إنَّ زَعْمَ أن التكرار في القرآن من قبيل الحشو مردودٌ بما يلي[1]:

١- التكرار في القرآن جاء ليؤدي وظيفتين:

أ- دينية: فإن من أهم ما يؤديه التكرار هو تقرير المكرر وتوكيده، وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين.

ب- أدبية: فإن الهدف من التكرار في جميع مواضعه هو تأكيد المعنى، وإبرازه في معرض الموضوع وبيانه.

٢- التكرار في القرآن أتى بصور سياقية متعددة، وكل صورة منها تؤدي وظيفة في المعنى من ناحيةٍ محددة، ومن هذه الصور:

أ- تكرار أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي الجملة ركنيها، مثل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2]، وقد تكررت "إن" في

---

(١) انظر: عبد العظيم المطعني، حقائق القرآن وأباطيل خصومه: شبهات وردود، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ - ٢٠٠٢. محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤١٤ - ١٩٠٤. محمد حمدي زقزوق، حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤. محمد فريد وجدي، مناقشات وردود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٥- ١٩٩٥. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيرووت، ط٣، ١٩٢٨.

(٢) النحل، ١١٠.

الآية، وكان يمكن – في الظاهر – أن يستغنى عنها في نهاية الآية فيقال: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهو خبر "إن" الأولى، فما سبب التكرار؟!

ولعلَّ السبب هو طول الفصل بين "إن" الأولى وخبرها، وهذا أمر يشعر بتنافيه مع الغرض الذي سيقت من أجله "إن" وهو التوكيد؛ لهذا اقتضت البلاغة إعادتها، لنلحظ النسبة بين الركنين على نحو ما ينبغي أن تكون عليه من التوكيد، هذا علاوةً على أن حذفها سيؤدي إلى الاضطراب وعدم التناسق؛ ومثال ذلك من الشعر(١): [الطويل]

وإنَّ امرأً دامَتْ مواثيقُ عهدِه ∴ على مِثْلِ هذا إنَّهُ لَكريمُ(٢)

ب- تكرار الكلمة مع أختها لداعٍ، بحيث تفيد معنًى لا يمكن حصوله من دونها، مثل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٣)؛ حيث تكررت كلمة "أولئك" في الآية ثلاث مرات، فما السر وراء هذا التكرار؟

فالأولى والثانية تسجلان حكمًا عامًّا على منكري البعث وهو كفرهم بربهم وكون الأغلال في أعناقهم، والثالثة بيانٌ لمصيرهم المهين ودخولهم النار ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يعقبه خروجٌ منها، ولو

(١) القائل مجهول.

(٢) ابن الأثير، نصر الله بن محمَّد الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: سمر الفيصل، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، د.ط، ١٩٩٦م، ج٢، ص١٥٥.

(٣) الرعد، ٥.

أسقطت "أولئك" في الموضعين الثاني والثالث لاضطرب المعنى، فتصبح "الواو" الداخلة على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ واو حال، وتصبح الداخلة على ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عاطفة عطفًا يضطرب معه المعنى؛ لذا حسن التكرار في الآية لما فيه من صحة المعنى وتقويته.

ج- تكرار فاصلة في سورة واحدة على نمطٍ واحد، مثل التكرار في سورة الرحمن، إذ تكررت فيها عبارة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة، ويمكن أن يُسجَّل عدة ملاحظات حول هذا التكرار، منها:

١. أن هذا التكرار هو أكثر صور التكرار الواردة في القرآن على الإطلاق.

٢. أنه قد مهّد له تمهيدًا رائعًا، حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل، وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة "الميزان" ثلاث مرات متتابعة من دون نَبْوٍ أو مَلال، وهذا التمهيد قد أتاح مساحةً كبيرة حتى كان بمثابة مقدمة طبيعية؛ لتألف النفس التكرار الذي سيرد بعد ذلك.

٣. إن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الثقلين: "الإنس والجن"، وبعد كل نعمةٍ يعددها تأتي عبارة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وعلى هذا يمكن فهم التكرار في هذه السورة على أنه تذكير وتقرير للنعمة، وأنها بمكانٍ فلا يمكن إنكارها.

د- تكرار قصة في مواضع متعددة مع اختلافٍ في طرائق الصياغة وعرض الفكرة، ومن الملاحظ أن القصص القرآني يغلب عليه التكرار إلا في قصة واحدة، وهي قصة يوسف - عليه السلام -؛ وذلك لأنها تتحدث عن جريمة خلقية، وهي محاولة امرأة العزيز إغراءه، وفي سبيل

صيانة الأعراض اكتفى القرآن بسوقها مرة واحدة، ومن ذلك سؤال الصحابة – ﷺ – النبي – ﷺ – عن القصص، فجاء الجواب جملة في قصة يوسف – عليه السلام – في سورته؛ فضلاً عما تحويه القصة في طياتها من أمور أخرى من الفصاحة والبلاغة.

والقصص القرآني في جملته مسوق لغرضين:

أولهما: تسلية الرسول – ﷺ – وتثبيت فؤاده، وأنه لم يكن بدعًا من الرسل، فهم خولفوا مثلما خولف، وحقَّ على المخالفين العذاب ونصر الله رسله وجنده.

ثانيهما: تهديد المخالفين وزجرهم، وبيان مصير أمثالهم؛ لعلهم يقلعون عن غيِّهم.

وهذه الدواعي محققة في كل مرة ورد فيها التكرار، ويلاحظ على تكرار القصص القرآني ما يلي:

١. عدم توخُّد الصياغة في كل موضع كررت فيه القصة؛ وفي هذا إيحاءٌ بأنها جديدةٌ متجددةٌ دائمًا، وليس فيها سآمةٌ أو ملال، بل ترويح وطرافة.

٢. إن المعاني التي تتحدث عنها القصة القرآنية لم تكن لمجرد التهديد أو التسلية، بل إن التكرار يحوّل المكرر إلى معتقد.

٣. من عادة العرب إذا اهتمت بشيء أرادت تحقيقه كررته، وكأنها تقيم التكرار مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء بحيث تقصد الدعاء.

٤. إن في التكرار تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور، ألا ترى أنه لا سبيل لحفظ العلوم إلا بترداد ما يراد حفظه منها، وكلما زاد

ترداده كان أمكن له في القلوب، وأوسع له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان.

وإن لتكرار القصص في القرآن حكمًا عديدةً، منها:

١. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها: فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوبٍ يتمايز عن الآخر، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢. قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣. الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس: إذ التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام؛ كما هو الحال في قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، فضلاً عن أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤. اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معانٍ أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

ومثال على ما تقدَّم قصة آدم – عليه السلام –، وهذه بعض فوائد التكرار فيها:

هذه القصة وردت في سبع سور، في سبع مرات، وترتيب السور التي وردت فيها القصة حسب نزولها هي في "المكي": (ص، الأعراف، طه، الإسراء، الحجر، الكهف). وفي "المدني": (البقرة). ومن الواضح أن نصيب

العهد المكي من القصة كان وفيرًا بالقياس إلى العهد المدني، وهذا أحد المواضع حيث يظهر أثر التكرار فيه: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]. وفي موضعٍ آخر: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

جاءت الآيتان بنسقٍ واحد إلا في:

١. قوله – ﷻ – في البقرة: ﴿ وَكُلَا ﴾ وفي الأعراف: ﴿ فَكُلَا ﴾.

٢. قوله – ﷻ – في البقرة: ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾، وعدم وجودها في الأعراف.

ويمكن توجيه الاختلاف أن "السكن" في البقرة للإقامة، وفي الأعراف لاتخاذ المسكن، فلما نسب القول إليه – ﷻ –: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ ناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل؛ ولذلك قال فيه: ﴿ رَغَدًا ﴾، وقال: ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ لأنه أعم، أما في الأعراف فقد قال: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ﴾؛ فأتى بـ "الفاء" الدالة على الترتيب، فالأكل يأتي بعد المسكن الذي أمر باتخاذه، وقوله: ﴿ حَيْثُ ﴾ لا يعطي عموم "فكلا" من ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾.

ويُلاحظ من خلال الشاهد الذي مرَّ:

---

(١) البقرة، ٣٥.

(٢) الأعراف، ١٩.

١. أن المواضع التي كررت فيها القصة لا تكون غالبًا بنسقٍ واحدٍ في الصياغة.
٢. أن كل موضعٍ منها يفيد معنًى جديدًا لا يستفاد من غيره من المواضع، فضلًا عما فيه من التوكيد(١).

(١) انظر: عبد العظيم المطعني، حقائق القرآن وأباطيل خصومه: شبهات وردود، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢. محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤١٤ – ١٩٠٤. محمد حمدي زقزوق، حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤. محمد فريد وجدي، مناقشات وردود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيرووت، ط٣، ١٩٢٨.

المبحث الثاني
علم المتشابه ونماذج منه
المطلب الأول
علم المتشابه

صنَّف في علم المتشابه جماعة، منهم: الإسكافي(١)، والكرماني(٢)، والسخاوي(٣)،

---

(١) الخطيب الإسكافي، حمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافًا، ثم خطيبًا بالري. من كتبه: "مبادئ اللغة"، و"نقد الشعر"، و"درة التنزيل وغرة التأويل" في الآيات المتشابهة، و"غلط كتاب العين"، و"الغرة" في بعض ما يغلط به أهل الأدب. مجهول الولادة، وتوفي سنة ٤٢٠هـ. [خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢م، ج١٤، ص٧٥، ٧٦].

(٢) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء: عالم بالقراءات. نقل في (التفسير) آراء مستنكرة في معرض التحذير منها، كان الأولى إهمالها. أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها: "لباب التفاسير" وهو المعروف بكتاب "العجائب والغرائب" في مجلدين، ضمنه أقوالًا في معاني بعض الآيات، و"خط المصاحف"، و"لباب التأويل"، و"البرهان في متشابه القرآن". مجهول الولادة، وتوفي نحو سنة ٥٠٥هـ. [الزركلي، الأعلام، ج١٥، ص٤٠٧، ٤٠٨].

(٣) السخاويّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عبد الصمد بن عطَّاس الهَمْدانيّ، المصريّ السخاويّ، الشافعيّ، نزيل دمشق، الشيخ، الإمام، العلامة، شيخ القرّاء والأدباء، عَلَم الدين. ولد سنة ٥٥٨هـ، كان إمامًا في العربية، بصيرًا باللغة، فقيهًا، مفتيًا، عالمـًا بالقراءات وعللها، مجوّدًا لها، بارعًا في التفسير، صنّف وأقرأ وأفاد، وروى الكثير، وبَعُدَ صيته، وتكاثر عليّه القُرَّاء، له: "شرح الشاطبية"، =

والرازي[١]، والغرناطي[٢].

تعريف المتشابه:

لغةً: هو الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمعُ: أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله[٣].

= و"الرائية"، و"جمال القُرَّاء"، و"منير الدياجي في الآداب"، توفي سنة ٦٤٣هـ. [الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج١٤، ص١٦٦ – ١٦٨، رقم الترجمة ٥٩٢٩].

(١) الفخر الرازيّ، محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيميّ البكريّ، أبو عبدالله، فخر الدين الرازيّ، الإمام المفسّر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشيّ النسب، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، من تصانيفه: "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب"، في تفسير القرآن الكريم، و"لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات"، و"معالم أصول الدين"، و"أساس التقديس"، و"المحصول في علم الأصول". ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. [الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٣١٣].

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الاندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول. ولد في جيان Jaen وأقام بمالقة Malaga فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته، وتوفي فيها. من كتبه: "صلة الصلة" قطعة منه، وهو مخطوط كاملًا، و"ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل"، و"البرهان في ترتيب سور القرآن". كان معظمًا عند الخاصة والعامة. ولد سنة ٦٢٧هـ، وتوفي سنة ٧٠٨هـ. [الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢٤٥، ٢٥٦].

(٣) ابن منظور، محمَّد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م، مادة (ش ب ه)، ج١٣، ص٥٠٣.

اصطلاحًا: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء.

حكمته: التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكررًا[١].

وأكثر أحكامه تثبت من وجهين، فلهذا جاء باعتبارين، وفيه نقاط[٢]:

النقطة الأولى: المتشابه باعتبار الأفراد، وهو على أقسام:

الأول: أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه، وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في النص القرآني منه كثير، ففي البقرة: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾[٣] **وفي الأعراف:** ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[٤].

وفي البقرة: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[٥] **وفي الحج:** ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[٦].

في البقرة والأنعام: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾[٧] **وفي آل عمران:**

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص١١٢.
(٢) المرجع السابق، ص١١٢ وما بعدها.
(٣) البقرة، ٥٨.
(٤) الأعراف، ١٦١.
(٥) البقرة، ٦٢.
(٦) الحج، ١٧.
(٧) البقرة، ١٢٠، الأنعام، ٧١.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾[1].

الثاني: ما يشتبه بالزيادة والنقصان.

ففي البقرة: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[2]، **وفي يس:** ﴿ وَسَوَآءٌ ﴾[3] **بزيادة واو، لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم إن، وما في يس جملة عطفت بالواو على جملة.**

في البقرة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[4] **وفي غيرها بإسقاط** ﴿ مِّن ﴾ **لأنها للتبعيض. ولما كانت سورة البقرة سنام النص القرآني وأوله بعد الفاتحة حسن دخول** ﴿ مِّن ﴾ **فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع النص القرآني من أوله إلى آخره، بخلاف غيرها من السور فإنه لو دخلها** ﴿ مِّن ﴾ **لكان التحدي واقعًا على بعض السور دون بعضٍ ولم يكن ذلك بالسهل.**

الثالث: التقديم والتأخير وهو قريب من الأول.

ومنه في البقرة: ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[5] **مؤخر وما سواه:** ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[6].

---

(١) آل عمران، ٧٣.
(٢) البقرة، ٦.
(٣) يس، ١٠.
(٤) البقرة، ٢٣.
(٥) البقرة، ١٢٩.
(٦) آل عمران، ١٦٤.

ومنه تقديم اللعب على اللهو في موضعين من سورة الأنعام، وكذلك في القتال والحديد.

وقدم اللهو على اللعب في الأعراف والعنكبوت وإنما قدم اللعب في الأكثر لأن اللعب زمان الصبا واللهو زمان الشباب وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو.

ما ذكره في الحديد: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ ﴾[1] أي كلعب الصبيان، ﴿وَلَهۡوٞ﴾ أي كلهو الشباب، ﴿وَزِينَةٞ﴾ كزينة النساء، ﴿وَتَفَاخُرُۢ﴾ كتفاخر الإخوان، ﴿وَتَكَاثُرٞ﴾ كتكاثر السلطان. وقريب منه في تقديم اللعب على اللهو قوله: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[2].

وقدم اللهو في الأعراف لأن ذلك يوم القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين.

وأما العنكبوت فالمراد بذكرهما زمان الدنيا وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾[3] أي الحياة التي لا أمد لها ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر اللهو لأنه في زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا.

---

(١) الحديد، ٢٠.

(٢) الأنبياء، ١٦، ١٧.

(٣) العنكبوت، ٦٤.

الرابع: بالتعريف والتنكير.

في البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1] **وفي آل عمران:** ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[2] **وقوله في البقرة:** ﴿هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[3] **وفي سورة إبراهيم:** ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[4] **لأنه للإشارة إلى قوله:** ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[5] **ويكون** ﴿بَلَدًا﴾ **هنا هو المفعول الثاني و:** ﴿ءَامِنًا﴾**صفته وفي إبراهيم:** ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ **مفعول أول و**﴿ءَامِنًا﴾ **الثاني.**

وفي آل عمران: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[6] **وفى الأنفال:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[7] **وقوله في حم السجدة:** ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[8] **وفي الأعراف:** ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[9] **لأنها في حم مؤكدة بالتكرار بقوله:** ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾[10] **فبالغ بالتعريف وليس هذا**

---

(١) البقرة، ٦١.
(٢) آل عمران، ٢١.
(٣) البقرة، ١٢٦.
(٤) إبراهيم، ٣٥.
(٥) إبراهيم، ٣٧.
(٦) آل عمران، ١٢٦.
(٧) الأنفال، ١٠.
(٨) فصلت، ٣٦.
(٩) الأعراف، ٢٠٠.
(١٠) فصلت، ٣٥.

في سورة الأعراف، فجاء على الأصل المخبر عنه معرفة والخبر نكرة.

الخامس: بالجمع والإفراد.

في سورة البقرة: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[1] وفي آل عمران: ﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾[2]، لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرًا أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾[3] فجاء في البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع.

السادس: إبدال حرف بحرف غيره.

في البقرة: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا﴾[4] بالواو، وفي الأعراف: ﴿فَكُلَا﴾[5]، بالفاء وحكمته أن: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة فلم يصلح إلا بالواو ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكنًا فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنًا متجددًا وزاد في البقرة: ﴿رَغَدًا﴾[6] لقوله: ﴿وَقُلۡنَا﴾ بخلاف سورة الأعراف فإن فيها:

---

(١) البقرة، ٨٠.

(٢) آل عمران، ٢٤.

(٣) الغاشية، ١٣ – ١٦.

(٤) البقرة، ٣٥.

(٥) الأعراف، ١٩.

(٦) البقرة، ٣٥.

﴿ قَالَ ﴾، أو أن ما في الأعراف خطـــاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول.

السابع: إبدال كلمة بأخرى.

في البقرة: ﴿مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1]، وفي لقمان: ﴿وَجَدۡنَا ﴾[2].

في البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ ﴾[3] وفي الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ ﴾[4].

الثامن: الإدغام وتركه

في النساء والأنفال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾[5]، وفي الحشر بالإدغام.

في الأنعام: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾[6] وفي الأعراف: ﴿يَضَّرَّعُونَ ﴾[7].

النقطة الثانية: المتشابه الذي جاء على حرفين

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[8]: اثنان في البقرة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[9]، اثنان في يونس والنمل.

---

(١) البقرة، ١٧٠.

(٢) لقمان، ٢١.

(٣) البقرة، ٦٠.

(٤) الأعراف، ١٦٠.

(٥) النساء، ١١٥.

(٦) الأنعام، ٤٢.

(٧) الأعراف، ٩٤.

(٨) البقرة، ٢١٩، ٢٦٦.

(٩) يونس، ٦٠، النمل، ٧٣.

النقطة الثالثة: ما جاء على ثلاثة أحرف

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1] **ثلاثة في الروم وفاطر والمؤمن.**

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ ﴾[2] **بالفاء في يونس والأنبياء والشعراء.**

النقطة الرابعة: ما جاء على أربعة حروف ... وهكذا إلى ثلاثة وعشرين حرفًا[3].

(١) الروم، ٩، فاطر، ٤٤، غافر، ٢١.

(٢) يونس، ٧٣، الأنبياء، ٧٦، الشعراء، ١٧٠.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص١١٢ وما بعدها.

المطلب الثاني

نماذج مشروحة من المتشابه:

عدَّ السيوطي[1] [2] "الأشباه" نوعًا من الأنواع التي اشتمل عليها النص القرآني، وأنه من زياداته، ويعني بها الآيات المتشابهة، وأكد أن حكمة هذا الأمر هو: ما في إحدى المتشابهتين مما ليس في الأخرى من تقديم أو تأخير أو زيادة.

وعرَّج السيوطي على أمثلة كثيرة، من ذلك:

- **تكرار كلمتي "الرحمن الرحيم":**

الرحمن الرحيم في الفاتحة، وأن الله كررهما بعد البسملة تأكيدًا لرحمته تعالى، ولأنه ذكره أولاً مع غير المنعَم عليهم بالرحمة، فأعاده معهم وهم العالمون، وأشار بالرحمن إلى أنه رحمن لجميعهم في الدنيا، وبالرحيم إلى أنه خاص بالمؤمنين يوم الدين.

---

(١) السيوطيّ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين الخُضَيْريّ، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرّخ، أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، من كتبه: الإتقان في علوم القرآن، والأحاديث المنيفة، والأرج بعد الفرج، والأشباه والنظائر، والإكليل في استنباط التنزيل، وتاريخ الخلفاء، وتنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك. ولد ٨٤٩هـ – ١٤٤٥م، وتوفي سنة ٩١١هـ – ١٥٠٥م. [الأعلام، الزركلي، ج٣، ص٣٠١، ٣٠٢].

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، التحبير في علم التفسير، تحقيق: فتحي فريد، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٧١ – ٢٧٣.

- **تكرار كلمة "اهبطوا":**

في سورة البقرة: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

وفي موضع آخر من السورة ذاتها: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

المراد بالأول: الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا.

المراد بالثاني: الهبوط من السماء الدنيا إلى الأرض.

وفي ذلك يقول الطاهر ابن عاشور: (أُهْبِطَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أُهْبِطَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ بالأمر الثاني؛ فَتَكُونُ إِعَادَةُ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا﴾ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى اخْتِلَافِ زَمَنِ الْقَوْلَيْنِ وَالْهُبُوطِ)[1].

- **تكرار كلمة "يُذبِّحون" بغير واو، وبلفظ "يقتلون"، وبلفظ "ويُذبِّحون" مع الواو:**

في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

وفي سورة الأعراف: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج١/ ص٤٤٠، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م.

وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

ذلك أن الأولين من كلام الله، فلا يراد تعداد المحن عليهم، والثالث من كلام موسى لهم، فعددها عليهم، وكان مأمورًا بذلك في قوله كما في الآية التي قبلها سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

- **تكرار لفظ "البلد الآمن":**

في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾.

الأول: إشارة إلى غير بلد، وهو الوادي قبل بناء الكعبة.

الثاني: إشارة إليه بعد بنائها.

- **تكرار كلمة "سبِّح":**

أتى الله بها على كل وجوهها، بدءًا من المصدر في أول سورة الإسراء

{سُبْحَانَ}[١]، والماضي في سور الحديد {سَبَّحَ}[٢] والحشر {سَبَّحَ}[٣] والصف {سَبَّحَ}[٤]، ثم بالمضارع في سورتي الجمعة {يُسَبِّحُ}[٥] والتغابن {يُسَبِّحُ}[٦]، ثم بالأمر في سورة الأعلى {سَبِّحِ}[٧]؛ وذلك استيعابًا لهذه الكلمة من كل جهاتها.

- **تكرار كلمة "شر":**

تكررت كلمة "شر" أربع مرات في سورة الفلق، لأن كل شر من الأربعة المضاف إليه غير الشر الآخر[٨].

وفي ما يلي شرح بعض السور التي اشهرت بأنها تشتمل على التكرار:

يقول الخطيب الإسكافي في "درة التنزيل" [٩]:

---

(١) الإسراء، ١.

(٢) الحديد، ١.

(٣) الحشر، ١.

(٤) الصف، ١.

(٥) الجمعة، ١.

(٦) التغابن، ١.

(٧) الأعلى، ١.

(٨) السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص٢٧١ــ٢٧٣.

(٩) الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، د.ط، ٢٠٠١م، ص١٢٢٩ – ١٢٤٦، انظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن. الرازي، التفسير الكبير. الغرناطي، ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل.

- **سورة الرحمن:**

الآية الأولى منها: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾(١).

للسائل أن يسأل عن إعادة ذكر الميزان ثلاث مرات في أواخر هذه الآي، ولمَ لمْ يرجع إليها بالإضمار، وهل في اختيار الكلام أن يتكرر في موضع السّجع في النثر والقافية في النظم مثله، أو في ثلاثة أسجاع متوالية أو في ثلاث قوافٍ متواطئة حتى يرتضى في ثلاث فواصل مترادفة؟

والذي أجاب به عن ذلك أهل النظر(٢): أنه أعيد ذكر (الميزان) ثلاث مرات لأن هذه الآيات لم تنزل معًا في وقتٍ واحدٍ، ولو نزلت معًا لأضمر ذكر (الميزان) ولكن لما نزلت متفرقة لم يجز إلاّ إظهار ذكر (الميزان) لأنه لم يجرِ له ذكر في كل وقت أنزلت فيه إحدى هذه الآيات.

وهذا إن تأتّى في (الميزان) الثالث فإنه لا يتأتى فيما قبله لأن الثاني تفسير للأول إنْ كانت أنْ بمعنى (أي)، أو علة إذا كانت "أن" مقدرة معها اللام، أي: لئلّا تطغوا، فكلّ ذلك لا يجوز مع انقطاع الثاني عن الأول، والأول عن الثاني.

وقد أجيب عن ذلك بجواب آخر: وهو أن يكون أعيد ذكر (الميزان) لتكون كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها، إذ الإضمار يضمّن الثاني الأولَ فلا يقوم الثاني بنفسه، ولا الثالث لو أضمر فيها ذكر ما في الأول.

---

(١) الرحمن، ٧ – ٩.

(٢) يريد الخطيب الإسكافي أهل العلم الذين تلقى عنهم العلم.

والجواب الذي يعتمد عليه: هو أن يجعل لكل واحدٍ معنى غير الآخر، يريد: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ أي: وضع البِنية المعدّلة، وهي بنية الإنسان التي خُلقت من أمشاج ومن تأليفاتٍ مختلفاتٍ على اعتدال من حرارة وبرودة ورُطوبة ويبوسة.

ومعنى رفع السماء ووضع بنية الاعتدال ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا ﴾[1]، أي: رفعنا السماء عن الأرض، وخلقنا الهواء بينهما.

ولم يكن للحيّ الذي أراد خلقه بدٌّ من هواء تخترقه الروح، وينساب فيه الريح فخلق – ﷻ – آدم أبا البشر – عليه السلام – من طين، وفيه مسارب للهواء، فجعل فيه الطين الأرضي والماء الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2].

والهواء الذي يجذب الأنفاس إليه من خارج ما بَرَدَ، ويخرج منه عن باطن ما حَمِي، والنار التي إذا فقدها الحيّ خمدَ وبَطَلَ.

فلما دبر الله تعالى خلقه على الاعتدال من هذه الأصول كان هذا الذي جمع فيه ما ذكرنا مركّبًا عن الأشياء التي وصفنا لكل معتدل عنده قبول، وله عن كل خارج عن حدّ الاعتدال نِفار ونُبُوّ حتى إذا رأى مربّعًا مستوي التربيع، وآخر مختلفًا خارجًا عن الاعتدال في الأبنية وغيرها يقبل الأول وينأى عن الثاني، وكما في الطبع قبول البيت من الشعر إذا اعتدلت

(١) الأنبياء، ٣٠.

(٢) الأنبياء، ٣٠.

أجزاؤه، واتزنت أفعاله التي وضع عليها، وردُّه للمنكسر الذي فقد التعديل في البناء، وهذا مما يضطر الإنسان إلى علمه كما يضطر في الأول إلى كراهة الْمُعْرَجَّات وقبول المستويات، فقال تعالى: رفع السماء وركب بنية الإنسان المعدلة، وكان معنى ذلك: أن لا تجاوزوا في حكم المعاملة حد المعادلة.

والميزان الثاني: الأحكام التي حُكم فيها على اعتدال، وقدّر في الطباع كراهية ما خرج منها على اعتداء كقتل نفسين بنفسٍ والجانيةُ إحداهما وقطع أذنين بأذن وأنفين بأنفٍ، وفَقْأ عينين بعين، وأخذ أموال بمال، ودواب بدابّةٍ وغير ذلك من مجاوزة الحد في القصاص، والأرش ما يثبت به حكم الطبع قبل حبهم السمع، وكان المعنى: عدّل خلقة الإنسان ليتوخى المعادلة في الأحكام. فالميزان الأول بنية الاعتدال وهي بنية الإنسان على الوصف، الذي ذكرنا، والميزان الثاني الحكم "بالعدل"، والثالث: آلة التعديل، وهي التي يقع بها الأخذ والإعطاء فيتبين لها مقادير الحقوق ليقتصر كل ذي حقٍ على قدر ما يجب له منها، فلا يأخذ أكثر ما له، ولا يعطي أقل مما يجب عليه، وهو القسط الذي أمر الله تعالى به المتبايعين، لا رجحان ولا نقصان.

وإذا كان كذلك لم يكن في إعادة لفظ (الميزان) تكرار، إذا كان الأول بمعنًى غير معنى الثاني، والثاني بمعنًى غير معنى الثالث، كما تخرج القوافي عن الإيطاء[1] إذا اتفقت ألفاظًا واختلفت معاني.

---

(١) الإيطاء: تكرار القافية من دون اختلاف معنى. ابن منظور، لسان العرب، مادة ر أ ى، ج١٤، ص٢٩١.

الآية الثانية منها: قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] وتكريره إحدى وثلاثين مرة.

للسائل أن يسأل عن العدة التي جاءت عليها هذه الآية متكررة، وعن فائدتها.

والجواب أن يقال: نبه الله تعالى على ما خلق من نعم الدنيا المختلفة في سبعٍ منها، وأفرد سبعًا للترهيب والإنذار والتخويف بالنار، وفصل بين السبع الأول والسبع الأخر بواحدة تلت آية سوّى فيها بين الناس كلهم فيما كتب الله من الفناء عليهم حيث يقول: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[2] أيْ مَن على الأرض: وهذه الفاصلة للتسوية بين الملائكة وبين الإنس والجن في الافتقار إلى اللّه تعالى، وإلى المسألة وإلى الإشفاق من خشية الله وهو قوله: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[3].

وإنما كانت الأولى سبعًا لأن أمهات النعم خلقها الله تعالى سبعاً سبعاً كالسموات والأرضين، ومعظم الكواكب، وكانت الثانية سبعًا لأنها على قسمةَ أبواب جهنم لما كانت في ذكرها.

وبعد هذه السبع ثمانية في وصف الجنات وأهلها على قسمة أبوابها. وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين، لأنه قال تعالى في مفتتحه الثمانية المتقدمة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[4] فلما

---

(١) الرحمن، ١٣.

(٢) الرحمن، ٢٦.

(٣) الرحمن، ٢٩.

(٤) الرحمن، ٤٦.

استكملت هذه الآية ثماني مرات قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[1]. فمضت ثمانية في وصف الجنان وأهلها تالية للثمانية المتقدمة فكان الجميع إحدى وثلاثين مرة.

فإن قال قائل: فقد سوَّى بين الجنة والنار في الاعتداد بالإنعام على الثقلين بوصفهما، وإنما النعمة إحداهما دون الأخرى.

فالجواب أن يقال: إن الله تعالى منعمٌ على عباده نعمتين نعمة الدنيا ونعمة الدين، وأعظمها في الأخرى، واجتهاد الإنسان رهبةً مما يؤلمه أكثر من اجتهاده رغبةً فيما ينعمه، فالترهيب زجر عن المعاصي وبعث على الطاعات، وهو سبب النفع الدائم، فأية نعمةٍ أكبر إذاً من التخويف بالضرر المؤدي إلى أشرف النعم، فلما جاز عند ذكر ما أنعم به علينا في الدنيا، وعند ذكر ما أعدّه للمطيعين في الأخرى أن يقول: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ جاز أن يقول عند ذكر ما تخوفنا به مما يصرفنا عن معصيته إلى طاعته التي تكسبنا نعيم جنته، لأن هذا أسوق إلى تلك الكرامة من وصف ما أعد فيها من النعمة.

فإن قال: إن السبع الأول قد عرفت من ست منها نعمة الله علينا في البر والبحر، والسابعة هي: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾، فأية نعمةٍ في ذلك حتى تُعدَّ من نعم الدنيا؟

فالجواب أن يقال: إن فيه التسوية بين الصغير والكبير، والأمير والمأمور، والمالك والمملوك والظالم والمظلوم في الفناء المؤدي إلى دار

---

(١) الرحمن، ٦٢.

البقاء، ومجازاة المحسن والمسيء بحقه من الجزاء، فالمظلوم يأخذ حقه، والظالم يفزَع فيترك الظلم له وسبب الفناء يعلمه الإنسان باضطرار فلا نعمة إذًا أكبر من هذه.

فإن قال: ذكر بعد قوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ قولُه: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلى أن انتهى إلى قوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ وجاء بعده ثماني مرّات قولُه: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ كما جاء بعد الجنتين الأوليين، وفي أثناء الثمانية الأخر من معاني الجنتين ما في أثناء الثمانية الأول، فما الجنتان الأوليان، وما الجنتان الأخريان حتى يبعث على طلب هاتين كما بعث على طلب تينك؟

فيجاب عن ذلك بأجوبة:

أولها: أن يقال: إن التثنية ههنا في الجنتين لاتصال الجنان أي: كلما كان الولي في جنة وُصلت بأخرى فلا تنقطع غرائب الجنان عنه أبدًا، كما كان في (حَنَانَيْكَ) دعاءً وطلبًا لرحمته متصلةً بنعمِه فلا تنقطع أبدًا إذا كان كذلك، وكقولهم : لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، وسائر ما جاء مثنى يراد به هذا المعنى.

فإن قال قائل: فما معنى الجنتين الأخرين وفي الأوليين كفاية إذا قصد المعنى الذي ذكرت ؟

قلت[1]: المراد بالجنتين الأوليين جنتان خارج قصره، والمعنى: كلما كان في جنةٍ وُصلت بثانية غريبةٍ مستطرفة، ثم إذا كان في الثانية كانت حالها في اتصال الأخرى بها كحال الأولى، وعلى ذلك يكون أبدًا، فكأنه قال:

(١) يعني نفسه، الخطيب الإسكافي.

ولمن خاف مقام ربّه جنتان خارج قصره متتابعتان لا تنقطعان.

وأما: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ فإن المراد بهما على هذا الوجه أي: أقرب من هاتين الجنتين جنتان داخل قصره، وهما في أن الجنة منهما متصلة بأخرى بعدها، فلا يزال المكرَّم فيها ينتقل من واحدة إلى أخرى تليها.

وجوابٌ ثانٍ: وهو أن تكون الجنان الأربع في الجهات الأربع بين يديه، وخلفه، وعن يمينه، وشماله، وأقربها ما كان نصْب عينيه، ومرمى طرفه، فلا يحتاج إلى أن يلتفت له إلى خلفه.

وجوابٌ ثالثٌ: وهو ما ذهب إليه الحسن[1] من أن الجنتين الأوليين للسابقين وهم الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ووضعوا لطاعة الله حرمة الآباء والأبناء وجاهدوا معهم في توطئة الإسلام، وبذلوا أرواحهم في قتال الكفار، وأولئك أعظم درجة وأعلى رتبة.

ومن دون جنتيْهم جنتان للتابعين ثم على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾"[2] [3].

---

(١) الحسن البصري، أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت الأنصاري. روى عن خلق من التابعين. قال ابن علية: مات الحسن في رجب، سنة عشر ومائة. وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوًا من ثمان وثمانين سنة. [الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٣٥ – ١٥٨، رقم الترجمة ٢٢٣].

(٢) الإسراء، ٢١.

(٣) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٢٢٩ــ١٢٤٦.

- **سورة الشرح:**

الآية الأولى منها: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[١].

للسائل أن يسأل عن فائدة تكراره؟

والجواب أن يقال: إن اللّه تعالى وعد في عسرٍ أن يعقبه يسران، وأن من كان في شدة قطعها عنه إلى نعمة بعد نعمة، ولن يغلب عسر يسرين، لأن كلمة "العسر" لمـــّا أعيد لفظها معرّفة كالأول بـــ "ال العهدية" لم تكن إلّا إياها، وكلمة "يسر" لمـــّا أعيد لفظها نكرة كانت غير الأول[٢].

- **سورة العلق:**

الآيـــة الأولى منها: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾[٣].

للسائل أن يسأل عن تكرير خلق؟

والجواب أن يقال: إنّ قوله خلق بعد الذي عامٌّ في المخلوقات كلها، سمائها وأرضها، ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين أنفسهم فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ أي: عرف انقلابه من حال الدم إلى ما يشاهد لِتعرف حاله الثانية التي ليست بأبعد في نفسك من هذه النشأة"[٤].

---

(١) الشرح، ٥، ٦.

(٢) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٣٦٤. الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، بيروت، د.ط، ١٩٩٧م، ص٢٢١.

(٣) العلق، ١، ٢.

(٤) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٣٦٦، ١٣٦٧. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص٢٢٢.

- **سورة التكاثر:**

الآية الأولى منها: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1].

للسائل أن يسأل عن تكرار اللفظين؟

والجواب أن يقال: إن أحدهما توعد غير ما توعّد به الآخر، فالأول توعّد بما ينالهم في الدنيا، والثاني توعّد بما أعدّ لهم في الأخرى.

وقيل: الأول ما يلقونه عند الفراق إذا بشّروا بالمصير إلى النار، والثاني ما يرونه من عذاب القبر فكلاهما عذاب فى الدنيا، إلاّ أن أحدهمَا غير الآخر وهو مثله في الشدة، فلذلك أعيد بتلك اللفظة"[2].

- **سورة الكافرون:**

للسائل أن يسأل عن تكرير ما ورد فيها؟

والجواب: أنها لم تتكرر فيها آية واحدة إذا اعتبرت أن كل آية منها تفيد من المعنى وتحرر ما لا تفيده الأخرى بذلك التحرير، فكأنها متباينة الألفاظ لتباين معانيها مع جليل التشاكل وعليّ التلاؤم والتناسب.

بيان ذلك أنه ورد في سبب نزول هذه السورة أن قريشًا قالوا لرسول الله – ﷺ –: اعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، وروي أنهم قالوا: تعال فلنشترك في عبادة آلهتنا وإلهك فنأخذ الخير حيث كان، فتبرأ – ﷺ – من مقالهم وأنزل الله السورة فتلاها عليهم وهم مجتمعون في المسجد. فقوله:

---

(١) التكاثر، ٣، ٤.

(٢) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٣٦٦، ١٣٦٨. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص٢٢٤.

﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾[1] أي لا أفعل ذلك فيما أستقبله من زماني، ولا أنتم تفعلونه فيما يستقبل، وهذا إخبار منه سبحانه عن أولئك العصبة أنهم لا يؤمنون، وهم الذين قتلهم الله يوم بدر، فهو إخبار بغيب؛ فيفيد الإعجاز. ثم قال تعالى: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾[2] أي ولا أنا متصف فيما مضى من عمري إلى الآن بعبادة آلهتكم، ولا كنتم أنتم فيما مضى متصفين بعبادة الله سبحانه، فحصل من ذلك الإخبار عن حال ما يستقبل منه – ﷺ – ومنهم، وعن حال ما مضى وتقدم منه – ﷺ – ومنهم، فعبر عن أربعة أحوال متباينة وهي: حاله – ﷺ – فيما يستقبل وحالهم، وحاله فيما تقدم قبل وحالهم، فعبر عن هذه الأربعة بأربع آيات، فلا تكرار.

فإن قلت [أيها السائل]: فكيف تنزيل آي السورة على هذا؟

قلت [الخطيب الإسكافي]: إن لا النافية إذا دخلت على المضارع المبهم مجردة عن قرينة من لفظ... خلصته للاستقبال، وقد دخلت في أول آية على قوله: "أعبد" فتخلص هذا الإخبار لما يستقبل، ثم بنيت الجملة من قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[3] على ما قبلها ليتقابل الإخبار ويلتئم نظم الكلام، وجيء فيه بالجملة الاسمية لأنها تحرز من حيث تسلط النفي على الصفة أنها لا توجد فيهم ولا يتصرفون بها في شيء مما يستقبلونه من الزمان، ففي الصفة أحرز بتعميم ما يستقبل من نفي الفعل.

---

(١) الكافرون، ٢.

(٢) الكافرون، ٤.

(٣) الكافرون، ٣.

فإن قيل: فإن كان نفي الصفة على ما ذكر فلم لم يأت كذلك أولاً فكأن يقال: لا أنا عابد ما تعبدون أو ما أنا عابد ما تعبدون؟

قلت: لم يكن كذلك لأمرين: أحدهما أنه جواب لقولهم: اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فلما كان جوابًا لفعل أتي فيه بالفعل نفيًا لعين ما طلبوه، ولو نفي الاسم لما كان مطابقًا لقولهم، والثاني أن الجملة الاسمية إنما نفيها بما لا بلا، وما ليست بمخلصة للاستقبال، ونفي المستقبل مقصود، فلم يكن بد مما يحرزه، فهذا ما حمل أولاً على ما عليه الكلام. وأما الجملة المنفية على هذه وهي قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فتنبيه لما قصد تعريفهم به، إذ هي طرف معرف بحالهم بناء على ما تقدمها من بيان حاله – ﷺ –، فهي جملة جوابهم، وبناؤها على ما تخلص استقباله مغن عن الأداة المخلصة لأن حكمها حكم ما بنيت عليه، وتم بها أنه قد وقع الفعل المبهم في صلة ما وهي معمولة لاسم الفاعل المجموع الواقع خبرًا عن "أنتم" ولا يعمل إلا بمعنى الحال والاستقبال، ولكن المعتمد الجوابية على ما تقرر فقد تبين أن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾[1] إخبار عما يستقبل من الزمان وعن حاله – ﷺ – فيه وحالهم فيه أيضًا. ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾[2] فهذا نفي لما تقدم ومضى على كفاية الحال الماضية ولهذا عمل اسم الفاعل في "ما". ولما كان الإفصاح هنا بالماضي يحرز المقصود جاءت الجملة اسمية لتحصل الماضي والحال. أما

(١) الكافرون، ٢، ٣.

(٢) الكافرون، ٤.

الماضي فمفهوم بنية الفعل وهو قوله: ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ولو لم يقع الإفصاح بالفعل لأفهم السياق ما ذكر لأنه تقدم ما يستقبل في حق الفريقين فلم يبق إلا ما مضى، ولا مانع من اللفظ فتعين المقصود.

أما الحال فإن الجملة الاسمية إذا دخل عليها النفي حملت على الحال ما لم يقع في الكلام ما يقيدها بغيره. فإن قيل: التقييد بقوله: ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ قلت قوله: ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ من صلة ما بعد حصول المبتدأ الذي هو أنا وهو اسم الفاعل، فحصل من قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ نفي اتصافه – ﷺ – في الحال بعبادة آلهتهم، وإنما الحال عندنا الماضي غير المنقطع، قال سيبويه رحمه الله معرفًا بما يطلق عليه اسم الحال فقال: وهو كائن لم ينقطع، فحصل عن المبتدأ والخبر من قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ الإخبار عن حاله المستمرة على ذلك فيما تقدم متصلة غير منفصلة، وحصل من الجملة الخبرية الواقعة صلة وهي "عبدتم" أنهم لم يفعلوا ذلك فيما مضى، وقد حصل فيما تقدم استمرارهم على ذلك حال الإخبار، وزيد بيانًا وتأكيدًا لقوله بعد: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾. وقد حصل أيضًا فيما تقدم أن تلك حالهم فيما يستقبلونه، فيحصل المجموع أنه – ﷺ – تبرأ من عبادة آلهتهم فيما مضى وفي الحال وما يأتي، وأنهم ما عبدوا الله كما يجب له سبحانه فيما مضى ولا في الحال ولا يفعلون ذلك فيما يأتي، وهو الحاصل من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] الآية. ثم قال سبحانه على لسان نبيه

(١) يونس، ٩٦.

- ﷻ -: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾، هذا في مقابلة قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾، فهو إخبارٌ عن حاله - ﷻ - فيما مضى وتقدم من عمره- ﷻ -، وقد تبين ما قيل.

فإن قيل: لم قيل هنا: "ولا أنتم عابدون ما عبدت" فكان يجري مجرى ما بني عليه وقوبل به؟ قلت: لوقيل: "ما عبدت" لأوهم انقطاعًا، لأن قول القائل: فعلت لا يقتضي الدوام والاتصال، وذلك وإن كان مفهومًا فيما تقدم من مقصود الكلام بالجملة فإن الأولى رفع الاحتمال من اللفظ كما أحرز المعنى، وهو الجاري في الكتاب العزيز. ثم قال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[1] فحصل التبري، ووضح التفصيل المتقدم"[2].

- **سورة الناس:**

للسائل أن يسأل عن تكرير كلمة "الناس" في فواصل هذه السورة في خمسة مواضع، وهي ست آيات، قد ختمت أواخر خمس منها بـــ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وواحدة بـــ ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾؟

والجواب عن ذلك أن يقال:

إنما اتصف اللّه تعالى أولًا برب الناس، ثم بملك الناس، ثم بإله الناس، لحكمة دعت إلى ذلك، وأوجبت تقديم الأول وتعقيبه بالثاني والثالث على الترتيب الذي جاء، لأن ربّ الشيء هو القائم بإصلاحه وتدبير أمره فنبّه

(١) الكافرون، ٦.

(٢) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٣٧٠، ١٣٧١. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص٢٢٦.

بتقديمه على ما ترتب من نعمه على الإنسان لما أنشأه ورباه، وهذه أولى أحواله، والثانية إنعامه عليه بالعقل الذى ثبتت عليه ملكته له، فعلم أنه عبد مملوك وأن الذي بلغ به تلك الحال من حد الطفولية هو الذي يملكه وأمثاله، فجعل الوصف الثاني ملك الناس، ولما كان بعد ذلك تكليف العبادات التي هى حق الله تعالى على من عرفه نفسه أنه عبدٌ مملوك وعرفه أنه خالقه وتلزمه طاعته ليلتزم غاية التذلل لمن له أكبر الإنعام والتطول جعل الوصف الثالث ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[1] فصار الناس الذين أضيف لهم رب كأنهم غير الناس الذين أضيف إليهم ملك، والذين أضيف إليهم ملك غير الذين أضيف إليهم إله.

وإذا أريد بالثاني غير الأول لم يكن تكرارًا بل يكون كأنه قال: قل أعوذ برب الأجنة والأطفال الذين ربهم ورباهم وقت الإنشاء والتربية، وحين لم يقدر آباؤهم لهم على التغذية وبمن بلغ بالوالدين حدًّا عرفوه فيه بالملكة وأنفسهم بالعبودية، ثم إله المكلفين المعرضين لأكبر النعم وهم الذين بلغوا وقاموا بأداء ما كُلفوا، فترتيب الصفات تنبيه على أن المراد بالناس ذوو الأحوال المختلفة فى الصغر والترعرع والبلوغ، فسلم على ذلك من التكرار، ويتضمن هذا المعنى اللطيف الذي دل عليه ترتيب الصفات تعالى الله وكلامه عن المعاب.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[2] فالمراد بالناس الأول

(١) الناس، ٣.

(٢) الناس، ٥.

الأبرار، وبالناس الثاني الأشرار، فكان المعنى الذى يوسوس فى صدور الناس الأخيار من الجن وأشرار الناس فقد صار المعنى بالآخر فكأنه غيره وإن كان الجنس قد جمع هذا كله.

هذا آخر ما تكلمنا عليه من الآيات التى يقصد الملحدون التطرق منها إلى عيبها"[1].

نعم، إن تكرار الاسم عند إرادة معنى الشمول له وقع في النفْس – والجن والإنس محلّ الدعوى – ما ليس في وقع الضمير العائد.

وهذه النصوص جمال يتكرَّر، ومعانٍ تتفتَّح، ولها تأثير في النفوس، قد لا يعبَّر عنها بالكلمات، يعرفها حقيقةً كلُّ من قرأها بتدبُّر، واستمع إليها بخشوع.

إن الداعي إلى مثل هذا التفسير للمتشابه، أي المكرَّر – بطريقة أو بأخرى –، بحسب رأيي:

١. شرح ما قد لا يُدركه المتقدّمون، بالنسبة للمتأخرين من العرب، الذين ما كانون يحتاجون إلى مزيد شرح؛ إذ هم الأقحاح الفصحاء البلغاء الذين يتكلمون العربية عن سليقة وطبع.
٢. التعمُّق في دراسة النص القرآني، على اعتباره كلام الله في الكتاب المعجز، عند المسلمين.
٣. التفتيش عن باب في تفسير النص القرآني، لم يُطرق من قبل؛ فالنص القرآني – على مر تاريخ الإنسانية – هو أكثر نص تفتَّقت منه علوم،

(١) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل، ص١٣٧٢ – ١٣٧٥. الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، ص٢٢٨.

وأكثر نص ألّفت حوله كتب.

٤. التنافس بين العلماء في استيفاء هذا العلم كلَّ مراميه وأبعاده، وطلب الأجر من الله في ذلك، والله أعلم بنيات كل واحد منهم، وإن كان اللاحق ينقل عن السابق، في كثير من الأحيان، ويحاول تقديم إضافات.

٥. ردّ شُبه أعداء المسلمين والنص القرآني، وخصوصًا الملحدين المدَّعين أنه ليس من عند الله، تحت ذريعة وجود هذه التكرار المتنوّع فيه.

وبعدَ هذا العرض لنماذج من النصوص القرآنية ذات الصلة بالتكرار، يتضح أن هذا العلم المسمى "المتشابه" تفطَّن له الأقدمون من أساطين العلم في الفقه والتفسير واللغة والبلاغة.

فبَعْدَ استعراض أصول التكرار عند العرب، وكل ما يمتّ إليه من قريب، أو ما يضادّه مباشرةً، كانت هذه النماذج (النصوص القرآنية لأشهر متشابه مكرَّر فيها) تدليلًا على كل ما سبق، عن طريق شرح أهل الاختصاص في كتب التراث المشهورة التي وفت وكفت، إذ تفنَّنوا خلَلَها في تِبيان تجليات النص القرآني في تقليب أوجه التكرار... لمن تأمَّل، فالنص القرآني يُتعبَّد بتلاوته عند المسلمين، ويفيض بالمعاني عند إدامة النظر فيه من قِبَل أهل العلم – خصوصًا –.

إن التمكُّن في علم المتشابه يحتاج إلى معرفة أسباب النزول، والعام والخاص، والمقيَّد والمطلق، وامتلاك ناصية العربية؛ لغةً، ونحوًا، وصرفًا، وبيانًا، للوقوف على بلاغة النص القرآني، وربط بعضه بعضًا.

وهكذا، فالتكرار في النص القرآني – على اختلاف تسمياته، والخلاف في مسمَّياته – أمر محتَّم ظاهر لا شك فيه، لكنه يحتاج إلى غوَّاصين أفذاذ،

يُخرجون جواهره للعلَن، للخاصَّة والعامَّة على السواء. وإن النظر في هذا العلم مفتوح لكل ذي بصيرة من أهل العلم والفهم الحائز في ذلك على صفات الأهلية، وشروط المناقبية، لكن ظني أن من سبق استوفوا مجال العلم وختموه، ودليله أنه لم يأت بعدهم من أتى بجديد في هذا المجال.

ولعلَّ الإسكافي في كتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" هو أول من أشار إلى وجود هذا العلم في النص القرآني، وتبعه الآخرون: الكرماني، والسخاوي، والرازي، والغرناطي.

المبحث الثالث

التكرار في القصص القرآنية

المطلب الأول

التكرار حالة متجذرة عند العرب

جرت عادة العرب على استخدام أسلوب التكرار محاولةً منهم للتنبيه على مزيد عنايةٍ ووافر اهتمام بأمورٍ مهمة، فالتكرار أسلوبٌ بلاغي معروف، والقرآن لم يفاجئ العرب بغريب، ولكنه أتاهم بجنس ما برعوا فيه، ومع ذلك تحدَّاهم في أن يأتوا بمثله. وإن الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والموعظة الخطابية تسرد سردًا قد لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًّا خاصًّا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورة[1]. ولعل الحرف الواحد بين آيتين متشابهتين بالكلمات يجعل هذه الآية تؤدّي معنىً مختلفًا كليًّا عن المعنى الّذي قد تفيده الآية الأخرى الّتي قد تبدو أنّها مشابهة لها، ولكن هذا المعنى الجديد يحتاج إلى التأمّل الكبير جدّاً في النصوص القرآنيّة، وفي السياق

(١) أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص٥ وما بعدها.

الّذي تجيء كلّ آيةٍ فيه؛ إذ يعد السياق وسيلة مهمّة من وسائل الوصول إلى عمق جديد من أعماق الآية لم يُتوصّل إليه من قبل. وتنفرد قصص النصوص القرآنيّة بأسلوبها الشائق الّذي أصبح دليلًا يهتدي به كثير من الأدباء، وهذا سهّل على الناس أخذ العبرة والعظمة منها.

معنى القصة:

القصّ: تتبع الأثر. يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، وفي القرآن: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[1] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[2] أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، ففي القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾[3]، وقال: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[4]. والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورةً ناطقةً بما كانوا عليه[5].

الكلام إذا تكرَّر تقرَّر:

أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرَّر القصص والأخبار في

(١) الكهف، ٦٤.
(٢) القصص، ١١.
(٣) آل عمران، ٦٢.
(٤) يوسف، ١١١.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة ق ص ص، ج٧، ص٧٣ وما بعدها.

النصوص القرآنية فقال: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]. وقال: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ ﴾[2]. وحقيقته: إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنًى، خشيةَ تناسي الأول لطول العهد به[3].

أنواع القصص في القرآن:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: وقد تضمنت دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني تتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم: كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله - ﷺ -: كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

---

(١) القصص، ٥١.

(٢) طه، ١١٣.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٩، ١٠.

المطلب الثاني

تكرار قصص القرآن وحكمته

يشتمل القرآن على كثير من القصص التي تكررت في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، إذ من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة.

تكرار قصص موسى - عليه السلام -:

لقد تكررت في النصوص القرآنية قصص: آدم، ونوح، وهود، ولوط، وصالح، وشعيب، وغيرهم من الرسل والأنبياء. وإن قصة موسى – عليه السلام – هي أكثر قصص القرآن تكرارًا؛ فقد ذكر الله موسى – عليه السلام – في مائة وعشرين موضعًا[1]. ولعل تكرار قصة موسى – عليه السلام – في القرآن الكريم – أكثر من غيرها – إلى هذا التشابه الكبير بين موسى – عليه السلام – والرسول محمد – ﷺ – في ظروف الدعوة[2].

الفائدة في قصة موسى في سورتي القصص وطه:

هذه عيّنة عن تكرار قصة موسى – عليه السلام – في سورتي القصص وطه:

تبدأ قصة موسى – عليه السلام – بذكر عدة عناصر، هي:

١- ظروف المجتمع الذي ولد فيه موسى – عليه السلام –.

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٧.

(٢) التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية، تونس، د.ط، د.ت، ص١٢٣.

٢- وحي الله لأم موسى - عليه السلام - بإلقائه في اليمّ.

٣- التقاط آل فرعون له واتخاذه ولدًا لهم.

٤- رجوعه إلى أمه وإرضاعها له.

وقد ذكر هذا في موضعين من القرآن في سورتَي القصص وطه.

فقد جاء في سورة القصص: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

(١) القصص، ٤ - ١٣.

وجاء في سورة طه: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

فهذا المشهد ذكر في موضعين، وبصورتين، كل منهما يكمل الآخر، وكلاهما يعطي لونًا من الألوان، ويلقي علي المشهد ضوءًا من الأضواء، وكل منهما مناسب لما وضع فيه، ونزل من أجله، فلا تكرار؛ ولكن بيان وتوضيح، فما نقص هنا كمل هناك، وما أُجمل هنا بيّن هناك.

ففي سورة القصص صورة إجمالية لحياة موسى – عليه السلام –: كيف ولد ونشأ؟ مع البسط وبيان النهاية.

وفي سورة طه كانت القصة حديثًا خاصًّا لموسى – عليه السلام –، أبان الله فيه بعض ما أنعم به عليه، فهي في مقام الامتنان والتذكير بالنعم التي من الله بها عليه.

وفي سورة القصص تفصيل وبيان وإعداد للخطة في روية في إلقاء الأحداث، وتلقيها في المستقبل، ثم استرخاء واتزان في تقبل الأحداث والتصرف فيها.

وفي سورة طه كان الإجمال وتنفيذ الخطة بسرعة الأحداث، ففيها أوامر بسرعة قذفه في التابوت الذي لم يأت له ذكر في سورة القصص،

---

(١) طه، ٣٧ – ٤٠.

فيتبعه قذف في اليم، فيتبعه أمر بإلقاء اليم له بالساحل، فأمر لفرعون بأخذه ليكون عدوًّا له(١).

عدم تكرار قصة يوسف - عليه السلام -:

ما الحكمة في عدم تكرُّر قصة يوسف – عليه السلام –، وسوقها مساقًا واحدًا في موضعٍ واحدٍ دون غيرها من القصص؟!

الجواب من عدة وجوه:

الأول: فيها من تشبيب النسوة به، وتضمُّن الإخبار عن حال امرأةٍ ونسوةٍ افتتَنَّ بمن أُعطي شطر الجمال والحُسْن؛ فناسب عدم تكرارها، لِما فيها من الستر عن ذلك.

الثاني: أنها اختصت بحصول الفرَجِ بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص؛ فإن مآلها إلى الوبال؛ كقصة إبليس، وقوم نوحٍ، وقوم هودٍ، وقوم صالحٍ، وغيرهم، فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص بذلك، اتفقت الدواعي على نقلها، لخروجها عن سَمْتِ القصص.

الثالث: إشارة إلى عجز العرب؛ كأن النبي محمدًا – ﷺ – قال لهم: إن كان مِن تلقاء نفسي تصديرُه على الفصاحة، فافعَلوا في قصة يوسفَ ما فعلتُ في قصص سائر الأنبياء(٢).

---

(١) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهوم ومنطوقه، دار الفكر العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ص٢٣٦ وما بعدها.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٩، ٣٠.

المطلب الثالث

أثر قصص القرآن في التربية والتهذيب

إنَّ القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار. والمعهود – حتى في حياة الطفولة – أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه. وينبغي للمربين أن يفيدوا من هذه الظاهرة الفطرية النفسية في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه.

وفي قصص القرآن تربة خصبة تساعد المربّين على النجاح في مهمتهم، وتمدّهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين، وسُنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم.

فمن فوائد التكرار: التربية والذكرى، وهما مما لا ينتهي المرء منهما بكلمة يلقيها، ولكنهما بحاجة إلى التذكير الدائم، كما في القرآن: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]، فقد تستدعي الحكمة التربوية تكرير التذكير بالتقوى، أو الترغيب والترهيب أو غير ذلك، حسَب المقتضيات الدعوية والتربوية. فأهمية التكرار تظهر من خلال أنه يعاود النفوس الغافلة المرة

(١) الذاريات، ٥٥.

بعد المرة ليزيل عنها غفلتها، كما يعاود النفوس المؤمنة المطمئنة بما يثبت فيها دعائم اليقين.

تدبر التكرار في القرآن الكريم:

ينبغي على متدبر القرآن أن يبحث في كل نص يبدو له أنه من النصوص المكررة، ليكتشف غرض التكرار إذا كان النص مكررًا حرفيًّا، وليكتشف فوارق المعاني إذا كان النص المكرر مختلفًا ولو بعض الشيء، ولو بكلمة أو حرف في كلمة؛ فكثير من النصوص التي يتوهم فيها التكرار هي ليست في الحقيقة مكررة، ولكنها متكاملة يؤدي بعضها من المعاني المرادة ما لا يؤديه البعض الآخر.

فقصص القرآن تأتي في كل مرة في سياق مختلف عن غيره، وله هدف خاص يسوق القصة من أجله، لتظهر منها الأجزاء التي تناسب هذا الهدف المحدد، وكل سياق تأتي فيه القصة لا تتشابه ألفاظها وأجزاؤها مع القصة الثانية في السياق الثاني، بل لا بد من تقديم لكلمة وتأخير لأخرى، أو ذكر لشيء في موقف، وعدم ذكره في المرة الثانية، وهكذا حسب مقتضيات المعنى والسياق، ووفق أغراض بلاغية أصيلة.

ومثال ذلك قصة النبي موسى – عليه السلام –، فإنها تحوي عبرًا كثيرة وأهدافًا متعددة، فإن كان غرض السياق تطمين قلب النبي محمد – ﷺ – وأصحابه، جاء جانب النبي المنتصر على فرعون وجنوده بتأييد الله؛ وعندما يكون السياق بيان استعلاء الناس واستكبارهم في الأرض، يأتي جانب المواجهة بين موسى وفرعون، وما جرى بينهم من محاورات، وهكذا ...

فوائد التكرار في القرآن والعربية:

فوائد التكرار في القرآن (أول سبع)، وفي العربية:

١- التأكيد.

٢- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول.

٣- إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد تجديدًا لعهده.

٤- في مقام التعظيم والتهويل.

٥- في مقام الوعيد والتهديد.

٦- التعجب.

٧- تعدد المتعلق.

٨- التحذير.

٩- تذوُّق الكلام.

١٠- زيادة التنبيه.

١١- تجزئة الأفكار المراد حول فكرة، لتأكيدها مع إضافات.

١٢- زيادة التوجع.

١٣- زيادة المدح.

١٤- التلذذ بذكر المحبوب.

١٥- التقرير.

١٦- جمال الجرس البديعي.

١٧- عَرْض القضية الملحة على الأديب.

فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم:

يمكن اختصار فوائد ذكر القصص في القرآن على أنواعها بالآتي:

١- إيضاح لأسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بُعث بها كل نبي.

٢- اشتراك جميع السامعين فيها، فيكون فيه إفادة القوم، وزيادة تأكيدٍ وتبصرةٍ لآخرين.

٣- تسلية الله تعالى لقلب النبي محمد - ﷺ - مما اتفق للأنبياء مثلُه مع أممهم.

٤- التأكيد أن كل الأنبياء أتوا بدين واحد هو الإسلام.

٥- إن الدواعيَ لا تتوفر على نقل القصص كتوفُّرِها على نقل الأحكام.

٦- إذا كُرِّرت القصة، زاد الله تعالى فيها شيئًا.

٧- إظهار إعجاز القرآن، فمع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هُجْنَةً، ولا أحدَث مَلَالًا.

٨- ألبَسها الله زيادةً ونقصانًا، وتقديمًا وتأخيرًا؛ ليخرج بذلك الكلامِ أن تكون ألفاظُه واحدةً بأعيانها.

٩- إيحاءٌ بأنها جديدةٌ متجددةٌ دائمًا.

١٠- التكرار يحوّل المكرر إلى معتقد.

١١- إقامة التكرار - على عادة العرب - مقام المقسم عليه.

١٢- تقرير للمعاني في الأنفس، وتثبيت لها في الصدور.

١٣- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معانٍ أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

ومن ناحية البلاغة:

- إبراز المعنى الواحد في صور متعددة، وأساليب متنوعة، وتفنن شائق، وألفاظ مختلفة رفيعة غاية في البلاغة.

ومن ناحية الإعجاز:

- إيراد المضمون الواحد في صور متعددة، مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها .. أبلغ في التحدي.

ومن ناحية البيان:

- يلفت الانتباه إليها، ويشعر بالاهتمام بها، ويُمكّن الاعتبار بها في النفس ويرسخها فيها.
- تناسب كل سياق مع السورة التي ورد فيها؛ طولًا، وقصرًا، وإطنابًا، وإيجازًا.

ومن ناحية التشويق:

- لما كانت منزَّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب، ذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر، حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها.
- إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبّرة عن المعاني، وشارحة للحقائق، وليست نقلًا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانهم.

ومن ناحية التعليم:

- إن اختلاف الأساليب وطرائق التعبير في قصص القرآن خصوصًا، وفي القرآن عمومًا، عن المعنى الواحد، لا تختلف إلا لكي تفيد في فهمها فائدة لفظية أو معنوية[1].

---

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٦ – ٢٨.

الخلاصة:

إن للتكرار فوائد كثيرة، لغوية، وصرفية، وصوتية، وفنية بلاغية، وتوجيهية؛ ورغم اختلاف العلماء في إطلاق اسم التكرار على ذلك الأسلوب في النص القرآني أو عدمه – كما اختلف العلماء في كثير من الأسماء والمسميات لكثير من العلوم في تاريخ اللغة العربية – فإن النظر في أقوالهم يوضح أنهم لا يختلفون في أن كل موقف يختص بحالة أخرى غير التي جاء بها الأول، وله موقف خاص، وجو خاص، وأهداف خاصة، ويعطي معاني جديدة، إما تكون واضحة من إضافات تُرى في الكلام، أو من خلال ما يُستنتج من فروق بين نصوص متشابهة، وذلك كله يصب في محيط إعجاز النص القرآني، في سياق أبعاد الدراسات التكوينية والجمالية للتكرار في النص العربي عامة، والنص القرآني خاصة، وإمكانيات اكتشاف مظاهر بلاغيَّة وإبلاغيَّة متجددة.

الخاتمة

إن التكرار في القرآن أمرٌ واقعٌ لا شك فيه، سواء ظهرت الحكمة من ورائه أم لم تظهر، والتكرار في القرآن (خصوصًا في قصصه) يباين التكرار في كلام البشر، فالتكرار في كلام البشر لا يسلم عادةً من القلق والاضطراب، وإذا لم يُجِدْهُ المتكلم به صار عيبًا في الأسلوب. أما في القرآن فهو تكرار محكم ذو وظيفة يؤديها في القرآن، وإنما يقف على ذلك من تفحَّص وأمعن النظر في القرآن وخصائصه.

التوصيات:

١- الإضاءة على هذا الموضوع المهم في المؤتمرات والمحاضرات العلمية.

٢- إحياء الكتب التي تكلمت على التكرار (علم المتشابه) في القرآن الكريم.

٣- الإشارة إلى فوائد التكرار (قصص القرآن أنموذجًا) ضمن المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد العربية.

٤- تشجيع طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية على متابعة الأبحاث في هذا الموضوع المهم ضمن إطار الاهتمام بعلوم القرآن الكريم.

٥- التعمق في دراسة ظاهرة التكرار في الشعر العربي الحديث.

ثَبْت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (جل من أنزله).
- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمَّد الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: سمر الفيصل، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، د.ط، ١٩٩٦م.
- ابن منظور، محمَّد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٩٥م.
- أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٦م.
- التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية، تونس، د.ط، د.ت.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- حسين جمعة، التقابل الجمالي في النص القرآني، دار النمير، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
- الخطيب الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة

التأويل، تحقيق: محمد آيدين، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، د.ط، ٢٠٠١م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٠، ١٩٩٢م.
- الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- _ الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال:

أ- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧م.

ب- التحبير في علم التفسير، تحقيق: فتحي فريد، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٩٨٢م.

- عامر قنديلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، دار اليأزوري، عمَّان، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٩م.
- عبد العال سالم مكرم، الترادف في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- عبد العظيم المطعني، حقائق القرآن وأباطيل خصومه: شبهات وردود، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- عز الدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهوم ومنطوقه، دار الفكر العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، بيروت، د.ط، ١٩٩٧م.
- محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- محمد حمدي زقزوق، حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- محمد فريد وجدي، مناقشات وردود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- مروان إبراهيم، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، مؤسسة الوراق، عمَّان، ط١، ٢٠٠٠م.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيرووت، ط٣، ١٩٢٨م.